المهمشون في مصر عصر سلاطين المماليك
(648-923هـ / 1250- 1517م)

بحث مقدم من

الباحثة /هالة السيد محمد عبد العال

بعنوان :

الدور السياسي للمهمشون في مصر عصر سلاطين المماليك

المستخلص:

يتناول البحث دور المهمشين في الحياة السياسية، ولا يُقصد بالمهمشين هنا العوام كلهم من الشعب المصري بل "الحرافيش" وقطاع الطرق فكثيراً ما وصفتهم المصادر بكلمة " أوباش العامة" والأسافل أو الحثالة وغيرها من المسميات التى تنم على طباعهم السئ. ينقسم البحث إلى ثلاثة محاور: المحور الأول هو الفتن السياسية وموقف المهمشين من حالات الشغب والثورات، والمحورالثاني هو دور السلطة الحاكمة في مساعدة المهمشين، و

المحور الثالث هو موقف المهمشين من الحروب الداخلية التى تحدث بين الأمراء وتأثيراتها على المجتمع المصري من إجتماعى وسياسى واقتصادي.

كلمات مفتاحية: مهمشون- المماليك- ثورات-الدولة الأيوبية

Abstract:

The research deals with the role of the marginalized in political life, and the "marginalized" here does not mean all the common people of the Egyptian people, but the "harafish" and the bandits, as the sources often described them with the word "public bastards" and the scum or scum and other names that indicate their bad character. The research is divided into three axes: the first axis is the political strife and the position of the marginalized from riots and revolutions, the second axis is the role of the ruling authority in helping the marginalized, and the third axis is the position of the marginalized from the internal wars that occur between the princes and their effects on the Egyptian society in terms of social, political and economic.

Keywords: marginalized, Mamluks, revolutions, the Ayyubid state

المقدمة

لعب المهمشون دورا كبير في الحياة السياسية بل ووصل الأمر حد أنهم شاركوا في تولية السلاطين وخلعهم وذلك عن طريق إقامة فتن أو حروب فدائمانجدهم يقفون في الصفوف الخلفية وراء تلك الأحداث .

ويرجع ذلك كما وصفهم ابن بطوطة " **طائفة كبير أهل صلابة وجوه دعارة"([1])**إلى جرأتهم وجسارتهم على الحكام وسوء خلقهم حتى مع العوام حيث شاهد بنفسه كيف قاموا بإطلاق سراح الأمير طشتمر حمص أخضر من حبسه, كذلك قام الأمير برقوق بالأستعانة بهم في الوصول إلى الحكم وبالفعل تسلطن بمساعدتهم له ,حيث فرق عليهم المال والسلاح وغيرها كثير من الأمثلة التي جعلتنا نستنتج مدى جرمهم و جرأتهم, وأنالا أعنى في بحثى ذلك العوام كلهم من الشعب المصري بل أعنى "الحرافيش" والمناسرووالبلاصية وقطاع الطرق والزعر والمشاعلية فاكثيراً ما وصفتهم المصادر بكلمة " أوباش العامة" والأسافل أو الحثالة وغيرها من المسميات التي تنم على طباعهم السئ([2])

قد قسمت بحثى إلة ثلاث محاور

المحور الأول هو الفتن السياسية وموقف المهمشين من حالات الشغب والثورات

وقد تحدثت فيه عن مشاركة المهمشين للسياسة ومحاولتهم الأستفادة منها, المحورالثاني : وهو دور السلطة الحاكمة في مساعدة المهمشين ,لان كثيرًا ما يحدث أزمات إقتصادية في مصر تلزم تدخل الدولة في مجابهة تلك الأزمات وقد تعددت الصور في ذلك المضمار

المحور الثالث : هو موقف المهمشين من الحروب الداخلية التى تحدث بين الأمراء وتأثيراتها على المجتمع المصري من إجتماعي وسياسي وأقتصادي .

الفتن السياسية وموقف المهمشين من حالات الشغب والثورات:

أتسم عصر سلاطين المماليك خاصًا عصرالجراكسة (المماليك البرجية), بكثرةاستخدامهم للحرافيش في الحياة السياسية بل وحضهم على اثارة الفتن والعصيان لاغراض سياسية تمكنهم من الحكم .

---

[1]) ابن بطوطة : (أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله اللواتي ,ت779 هـ) رحلة بن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمطار ,طبعة مصر0ص56

[2]) سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ,ط1 , الهيئة العامة للكتاب , 1962م ,ص44

والمعنى اللغوي لكلمة الفتن : هو أضطراب أو حدوث عصيان,كذلك هواتفاق جماعة على قلب نظام الحكم([3]).فهناك أسباب لاثارة الفتن منها السياسي , والأقتصادي ,الأجتماعي .

وقدأتسم عصرسلاطين المماليك بكثرةالفتن والتناحرفيما بين الأمراء على قلب أمورالحكم والخروج على طاعةالسلطان أوالقضاءعلى أتباعه من الأمراء طلبًا لاستقراره هو في الحكم.

وقد بدأ دورالآضطراب والقلاقل منذعهدالملك الصالح نجم الدين أيوب ,عندماقام بشراء المماليك بأعداد وفيرة فضاقت بهم القاهرة مماحدا بالمماليك النزول إلى حواريها, ينهبون الدكاكين ويشوشون على الناس , فأحدثواالضررالبالغ بالناس ([4]), ومع تفاقم هذه الأحداث تجمع الناس وهم يهتفون :الصالح المرتضى أيوب أكثر من ترك دولته 00000 يا شر مجلوب([5])

هنا يعاتب المصريين الصالح أيوب , ويقولون له : لقد أرتضينا بك سلطانًا فأكثرت من جلب الأتراك الأشرار المجلوبين , الذين أساءوا إليك وإلى أيوب (يقصد به صلاح الدين الايوبي) فالناس أصبحوا في صبر سيدنا أيوب من أفعالهم .

عندما بلغ الصالح أيوب ذلك أنصاع لحل هذه المشكلة لارضاء الناس فأنشاء لهم قلعة في جزيرة الروضة ([6]) بالقرب من المقياس وجعل حول القلعة شواني حربية مشحونة بالسلاح ,حتى يكون مماليكه على أستعداد لمحاربة الفرنجة أو أى أخطار خارجية في أي وقت , كذلك حتى لا يحتكون بالناس مرة أخرى بأي حال من الأحوال , كل هذه الأجرائات التي تمت كانت بناءا على طلب المهمشين وتنفيذا لرغبتهم , فأستراح الناس من شغب المماليك .

ثم نجد العصرالمملوكي يستهل بمقتل توران شاه على يد مماليك أبيه,والذين كانوا بالفعل حانقين عليه بسبب سفه تصرفاته بل وإغداق المال على أتباعه الذين أتوا معه أثناء حكمه لحصن كيفا, و تقريبه لهم وإبعاد مماليك أبيه عنه , مما جعلهم يتفقون جميعًاعلى قتله([7]).ليس هذا فحسب , كذلك عندماأرادت شجر الدر أن تتولى العرش بعد مقتل توران شاه عام 648هـ/ 125م وقبل أن يعترض الخليفة العباسى المستعصم على تولي أمراة حكم مصر , كان العوام أسبق إلى هذا الرفض

---

[3] أحمد محتار عمر: معجم اللغة العربية المعاصر , ج4 , ص1671

[4]) ابن إياس : (محمد بن احمد بن إياس الحنفي المصري , ت 930 هـ) , كتاب تاريخ مصر المشهور ببدائع الزهور في وقائع الزهور , ج1 , ط1, ص67

[5]) ابن اياس : بدائع الزهور, ج1 , ص67

[6]) المقريزي : السلوك , ج1 , ص405

[7]) المقريزي :(تقي الدين احمد ابن علي ابن عيد القادر بن محمد , ت 845هـ , / 1441م): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار, والمعروف بالخطط المقريزية , مكتبة مدبولي , القاهرة , 1998, ج2 , ص123

من قبل الخليفة , فحدثت ضجة كبيرة بين الناس بسبب تولى إمرأة عليهم,حيث لم يكن هذامألوفا لديهم,مماجعل شجر الدرترضخ لمطالبهم فتنازلت بالعرش لزوجها عزالدين ايبك([8])

الا أن عز الدين أيبك أراد الزواج من ابنه صاحب الموصل, وكذلك الأنفراد بالحكم دون شجر الدر([9]) فخططت لمقتل الملك المعز عز الدين أيبك,بمساعدة عبيدعنده من الخصي الروم وقاموا بقتله في الحمام([10])

و تتوالى أحداث الأغتيالات السياسية بمقتل قطز وهو عائدا بعد انتصاره على المغول وقام بابعادهم عن بلاد الشام في منطقة الصالحية([11]), وكان موقف المهمشين من هذه الأحداث بدور المتفرج , لا يعنيهم مما يحدث من التهاوش على السلطة , الا لو أتصل الأمر بشئ يقلب عليهم أمور حياتهم أو طلب أحد الأمراء منهم ذلك من إثارة للفتن كما حدث مع الظاهر برقوق كما سنرى .

كذلك كانت تلك الصراعات حبيسة اسوار قلعة الجبل إلا في حالات ينال العامة فيها نصيبًا مما بين الملوك , فيتم مشاركتهم سياسيًا كما حدث أثناء قيام الحرب بين الملك الناصر صلاح الدين يوسف ملك الشام مع المعز ايبك سنة 651هـ / 1253م , فكانت الغلبة في البداية علي المعز أيبك , فبلغت الاخبار إلى مصر بهزيمة المعز أيبك ففرح الناس , وعلقوا الزينات واستبشروا خيرًا, إلاان الهزيمة أنقلبت نصر ورجع المعز أيبك إلى القاهرةبصحبته الملك الناصر والملك الصالح إسماعيل وغيرهم قابضًاعليهم , إلا أن المعزأيبك علم فور وصوله فرح المصريين بهزيمته,فأنتقم منهم أشدأنتقام([12]) يبدوأنهم كانوا يريدون أنهاء حكم المماليك فخيل لهم ان هذه الواقعة هى نهاية أمرهم,ومن الواضح أن المعزأيبك فهم معنى سر فرحتهم بهزيمته. .فقال النويري أنه لوالفرنجة ما

---

[8]) عمرو عبد العزيز منير : ثورات مصر الشعبية ,الهيئة العامة للكتاب ,2015. ص105

[9]))بيبرس المنصوري (ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الداويدار ت 725هـ):مختار الأخبار تاريخ الدولة الآيوبية والمماليك وحتي عام 702: تحقيق صالح حمدان , ط1 , دار المصرية اللبنانية , , ص9 ؛ كنز الدرر : ج8 , ص31 ؛ النويري " شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ت 773هـ ":نهاية الارب في فنون الأدب , تحقيق مفيد قميحة ,ط1 , دار النهضة العربية , بيروت, 2004م , ج29 , ص292؛ المقريزي :(تقي الدين احمد ابن علي ابن عيد القادر بن محمد , ت 845هـ) السلوك في معرفة دول الملوك , ط1 , دار الكتب العلمية ,بيروت , 1997,ج1 , ص496

[10])ابن دقماق :الجوهر الثمين , ص261

[11])مدينة من مدن الشرقية , ابن تغري بردي : (جمال الدين أبي المحاسن الاتابكي , ت 874هـ) , النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , ط10 , ج7 ,ص77

[12])المقريزي : السلوك , ج1 , ص472

كانوا فعلوا هذا بالمسلمين([13]),ويعلق المقريزي على هذه الواقعة"لو ملك الفرنج بلاد مصر ما كانو ذادو على ما فعلوه البحرية"([14]).

ومع تتابع سلسلة القتل والصراعات حيث يقتل هذا ويتولى ذاك محله في السلطنة , أو يجتمع هؤلاء على شخص بعينه , مما يترتب عليه ان الحرافيش يصابون شر ولا يصيبوا منهم خيرا. حتى أن الأمر يصل إلى أحد أشكال الحروب الأهلية , وقد يصل الأمر إلى حد تسليح السلطان للزعر والحرافيش والمناسر ليساعدوه للرجوع الى السلطة مرة أخرى , كما فعل السلطان برقوق عند توليه السلطنة للمرة الثانية سنة 792هـ/ 1390م([15])اما معنى الفتن اصطلاحًا , فهى حركة شعبية واسعة مقاومة للظلم , او تستخدم لانجاح هدف معين ,لذلك نستطيع أن نقول أن الثورة هي الخروج عن المألوف فيتحرك الانسان لتغير وضع أو يقتلع وضع لا يرغب فيه ليأتى بجديد([16])وبذلك تصبح الفتنة التي غالبا يقوم المماليك بأخمادها,لان الشعب المصري كان دائم الثورات على أوضاع أجتماعية أو سياسية يشعر أتجاهها بالظلم والاجحاف بحقه , واثارة حفيظته على الرغم أنه مسالم بطبعه, طائعًا لسلطته الحاكمة([17]), ولا يتحرك ساكنًا الا لو اتصل الأمر بقوت يومه , فكما رأينا يوجد أوقات يستخدم فيهاأضطراب مسالم بالكلام ولا يستخدم العنف في أعتراضه , كذلك نرى حزنهم على شخص يعطف عليهم , مثل ماحدث عندما قتل خليل بن المنصور قلاوون ([18])وكان سبب حنق الأمراء عليه ابن سلعوس,الذي كرهه العامة فقبل مقتله كان يطاف به على ظهر حماروقف الأرازل يسبوه بأقبح الالفاظ ومعهم المداسات القديمة ويقولون"يا صاحب علم لنا على ذلك"حتى نتن جسده من الضرب([19])وهذا بسبب حبهم للخليل بن قلاوون لعطفه عليهم وغيظهم من ابن السلعوس لتكبره عليهم بل وعلى الأمراء أنفسهم. فنفهم من ذلك أن المهمشون إذا كرهوا شخصًا ما غلب عليهم روح الأنتقام والتشفي , حتى بعد موت الولاة الظالمين وهنا تذكر لنا المصادر أمثلة كثيرة على هذه الروح التي تدل على مدى ظلمهم مقابل ضعف المهمشين وخوفهم .

---

[13]) النويري : نهاية الأرب , ج32 , ص109؛ ابن تغري بردي , ج7 , ص9

[14]) المقريزي : الخطط , ج3 , ص124

[15]) المقريزي : المصدر السابق , ج5 , ص225

[16]) عفاف سيد صبرة : الثورات والانتفاضات في مصر عصر دولة اللماليك الجراكسة ' ص1

[17]) احمد عبد الرازق عبد العزيز محمد : الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الميلادي , جامعة الزقازيق ,ص126

[18])بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة , ص403 ؛ المقريزي : السلوك ج2 , ص415

[19]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج8 , ص14

ففي عام693هـ/1295م وعقب مقتل الأشرف خليل بن قلاوون وسلطنةأخيه الناصر محمد , كذلك أمر زين الدين كتبغا بقتل الأمير علم الدين السنجرالشجاعي([20]) فوضعت المشاعلية([21])رأسه على رمح وطاف به في شوارع القاهرة,فحصل المشاعية أموالا جزيلة حيث فرحت العوام موته وأرادو التشفي فيه , فأخذوا الرأس ويدخلون بها الى البيوت ليضربوه الناس بالقباقيب ويصفعوه , بل وصل الأمر بهم الي التبول والبصق على وجهه, وهم يقولون :"هذا راس الشجاعي الملعون !"([22])وهذا لأنه كان رجلاً ظالما عسوفًا وكثيرالمصادرات,فكرهه أهل مصر قاطبةٍ,ومع قتل سنجر الشجاعي خمدت الفتنة وأستراح الناس من شره وتم تولية الناصر محمد([23])

كذلك هناك العديد من الآحداث أظهرت مدي تأثير المهمشين في الاحداث السياسية جعلت سلاطين المماليك يستجيبون إلى مطالبهم ايذاء احداث سياسية , ففي عام707هـ/1307م حدثت فتنة بين الأمير سيف الدين سلارنائب السلطنة([24]) والسلطان بيبرس ([25])الجاشنكير([26])وبين الناصر محمد فثارت العامة لأجله لحبهم له , فقد بلغهم أن الأمراء يريدون قتله فتجمعوا تحت القلعة وهم يرددوا:" يا ناصر يا منصور! "فأرادالأميرسُمُك أن يقاتلهم,فمنعه بيبرس الجاشنكير وسلار من ذلك,فتزايد

---

[20]) هو الأمير علم الدين سنجر الشجاعي الذي تولي الوزارة بدلا من ابن السلعوس , فأكثر من الظلم والتعسف من العوام مما جعلهم يبغضونه ويتمنون موته ويبدوا أنه كان يطمع في السلطنة فاشعل فتنة للحيلولة دون سلطنة الناصر محمد ونال جزاه بما أقترف في حق الناس وحق الفتنة ,ابن ايبك : كنز الدرر , ج8 , ص355؛ المقريزي : السلوك , ج2 , ص251 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج8 , ص39

[21]) هي وظيفة قتل المحكوم عليه بالاعدام بقطع الرأس , محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي, دار الفكر المعاصر , بيروت ,ط1 , 1990م. , ص 39

[22]) ذكر المقريزي هذه المقولة , السلوك , ج2 , ص255

[23]) النويري : نهاية الأرب , ج31 , ص 174؛ المقريزي : السلوك , ج2, ص255 ؛ابن اياس : بدائع الزهور, ج1,ص110

[24]) هو الأمير سيف الدين سلار من التتار الأويراتية (هم التتار الوافدين الى مصر والشام ودخلوا في سلك المماليك) تولي نيابة السلطة بعد مقتل السلطان لاجين سنة 698هـ / 1299م , وهو من احدث نوع من الملابس تسمى بأسمه وهو القباء السلارية (قباء بلا اكمام او كم قصير جدا تلبس تحت الفرجية) , وبقى بها إلى ان سجنه الناصر محمد بن قلاوون , عند عودته للسلطنة للمرة الثالثة سنة 710هـ /1310 م ومات في السجن جوعا , المقريزي : السلوك , ج2, ص465 ؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج9 , ص16-17 ؛ احمد دهمان : معجم الالفاظ المملوكية , ص92

[25]) هو السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير المنصوري , من مماليك المنصور قلاوون الالفي وهو من الاتراك الجراكسة, تولي السلطنة سنة 709هـ / 1309م ثم قتله الناصر محمد بعد عودته للسلطنة للمرة الثالثة سنة 710هـ/ 1310م بيدهعن طريق الخنق بالبوتر, المقريزي : السلوك , ج2 , ص424

[26]) الجاشنكير هو لفظ فارسي بمعني متذوق الطعام والشراب قبل السلطان حتى يتأكدوا ان الطعام خالي من السم , وهي من الوظائف السلطانية , احمد دهمان , معظم الألفاظ المملوكية , ص50

جمع الحرافيش والأرازل وهم يهتفون"ياناصريامنصورالله يخون من يخون أبن قلاوون",فطيب الأمراء خاطر الرعيةحتى هدئوا وتفرقوا,بل وطلب الآمراء من الناصر محمدان يظهرلهم حتى تطمئن قلوب الرعية وتسكن ثورتهم([27]) وهذه حادثة تظهر مدى خوف الامراء من ثورات المهمشين التي لو لم يتم ارضائهم تكون العواقب وخيمة وأثبتت ان للمهمشين كلمة مسموعة لدى الحكام,خاصًاان الامراء كانوابالفعل يخفون نوايا سيئة ضدالناصر محمد وثورة المهمشين منعتهم من تنفيذغدرهم به([28])ويستمر شعور المهمشين في حبهم للملك الناصر محمد وتأييده في فترة سلطنته الثالثة ففي عام 709هـ/1309م هاج العوام وتجمع الغوغاء تحت القلعة وقاموا بسب السلطان المظفر بيبرس الجاشنكيرعلنًا وأمامه , بل وضربوه بالحجارة مما حدا به ببغض المهمشين فأمر بالقبض على مجموعة كبيرة من الغوغاء وضربهم وشهر بهم , لكن ما ذادهم ذلك الأمرالا سبًاوهجوماعلى الملك المظفر بيبرس ,وهذا لأنهم يحبون الملك الناصر محمد ويبغضون المظفر بيبرس , فصاحوا في الشوارع, " ليس له حلاوة 00ولا عليه طلاوة" ([29]), يقصدون ان خلعة السلطنة لاتليق عليه,فخرج هربًامن القلعة إلى منطقة إطفيح([30]) هاربا من الناصر , لكن المهمشين تتبعوه وهم ويقذفونه بالحجارة "فنثرعليهم المال"لكنهم لم يتركوه وواصلومطارته([31])ولعل ما قام به المهمشون في عهدالناصر محمدعندما قام بالقبض على حمص أخضر ([32]) فأجتمع الألاف الزعاروالحرافيش أسفل القلعة وهم

---

[27]) بيبرس الداويدار : زبدة الفكرة , ص403؛ المقريزي : السلوك , ج2,ص 415

[28]) قد أكد لنا المقريزي وبيبرس الداويدار سوء نية الامراء ضد الناصر محمد , وان هذه الثورة اردعتهم عن ما كانوا يريدون فعله : بيبرس الداويدار : زبدة الفكرة , ص2 , ص414

[29]) المقريزي : السلوك , ج2 , ص442؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج8 , ص215-216

[30]) هي من المدن المصرية القديمة , مركز من مراكز الصف القريبة من أعمال الجيزة , ولها اسمين و أسم ديني وهو per tip , ومعناه رأس البقر , وأسم مدني وهو matinou, وكانت تسمى بالأخصاص القبلية , محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م, الهيئة العامة للكتاب , القاهرة , 1994م., ج2 , ص26-27

[31]) ولم يؤكد لنا النويري ان الزعر انشغلوا بجمع الذهب حيث قال (فقيل انه شغلهم بدراهم نثراها عليهم فانشغلوا بجمعها) نهاية الأرب, ج32 , ص110 ويؤكد المقريزي وابن تغري بردي ان المهمشين لم يلتفتوا للمال المنثور , المقريزي : السلوك , ج2 , ص442؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج8 , 216

[32]) هو طشتمر البدري المعروف بحمص أخضرو ومن الواضح ان الحرافيش هم من اطلقوا عليه هذا اللقب من كثرة أحسانه على الفقراء والايتام , فهو يعتبر من أفضل الأمراء ومحببًا لدى الايتام وانفاقه على تحفيظهم للقرأن , وكسوتهم كذلك كثرة أحسانه على الحرافيش , لكن ابن بطوطة يذكر انه كان محبًا لاكل الحمص الأخضر ابن بطوطة : تحفة الأنظار , ج1 , ص214

يهتفون"يأأعرج النحس أخرجه"وهذاآنه كان يعطف على الأيتام فاضطرأن يطلق سراحه([33])أما في عام 747هـ/ 1347م عندما تولى السلطان المظفر حاجي([34]),أمر بخنق الأمير شجاع الدين غرلو([35]) وذلك بسبب رميه بالفتن للأمراء وأثار الكثير من القلاقل , وظلمه للرعية فدفن فى جنح الليل , إلا أن المهمشين عندما علموا بموته قاموا بنبش قبره , وأخذوا كفنه بل وأحرقوا عظامه , وذلك للتشفي منه , لكن السلطان عاقبهم بقطع أيديهم وضربهم بالمقارع , وطيف بهم في القاهرة, وذلك لشفقة السلطان عليه , و حتى لا يتخذ نبش القبور وسيلة للانتقام بأنتهاك حرمة الميت وتصبح عادة لديهم ([36])

أما علاقة النصارى بالمسلمين فكانت مستقرة خلال العصر الايوبي والمملوكي , لكن هناك بعض الخلل قد يحدث نتيجة لمناوشات سببه التعصب الديني ضد النصارى أو العكس وهدم للكنائس أواحداث أخرى , ولم يكن موقف الحكومة تجاه كلا الطرفين ثابت في كل الأحوال , ففي عام 700هـ/ 1300م شاهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وبصحبته وزي رحاكم بلاد المغرب ابو فارس المتوكل([37]) كان يريد الحج , فشاهدا نصرانيًا يركب فرسا مسومة بالجواهر الثمينة , والمهمشون يقبلون قدميه ويديه ويطلبون إحسانه بل ويلحون عليه في التوسل , وهو ينهرهم ويطلب من غلمانه إبعادهم عن طريقه , فشق ذلك على المغربي حيث كان متوهمًا أنه مسلم , فوجده

---

[33]) ابن بطوطة : تحفة الأنظار , ج1 , ص214 ؛ محاسن محمد الوقاد : الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية , الهيئة العامة للكتاب ,1999, ص163

[34]) هو السلطان المظفر زين الدين حاجي والمشهور بأسم أمير حاج وهو ابن الناصر محمد بن قلاوون و قد تولى الحكم بعد اخيه الكامل شعبان سنة 747هـ / 1347م , وكان قد قرر الامراء قتله الا انه اختفى عند أمه ونجا من القتل ثم تقرر سلطنته , المقريزي : السلوك , ج3 , ص34؛ ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ص10 , ص121

[35]) هو والي القاهرة ثم عينه السلطان حاجي أمير سلاح سنة 747هـ / 1347م , لكنه أوغر صدر السلطان حاجي ضد الامراء مما جعلهم يتفقون جميعًا على قتله , كذلك تعذيبه للمحكوم عليهم بالاعدام , حيث أحدث على باب زويلة نصبة ببكرتين وعليها سلبة ويعلق عليها السجين حتي يرتفع حتى يهلك فازيلت وعوض عنها بالتوسيط او قطع الرقبة , المقريزي : السلوك , ج3 , ص39

[36]) وقد روي المؤرخون عنه كثيرا لكثرة شره حتى ان العاماة اسمته اغرلوا وهي باللغة التركية تعني الفم الكبير , المقريزي : السلوك , ج3 , ص53 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ص10 , ص 134 ؛ ابن أياس : بدائع الزهور , ج1 , ص160

[37]) هو وزير حاكم بلاد المغرب (مراكش) وكان معه زوجته بردون الحج بالمرور من مصر ونزلوا في ضيافة الناصر محمد , فما كان الأ أن رأى ذلك المنظر وشق عليه ذلك , وهذا لأن النصارى في بلاد المغرب يعيشون في أذل حال ولا يتولون اي مناصب عليا في الدولة , المقريزي : السلوك , ج2 , ص337 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج8 , ص107

نصرانيًا , والنصارى في بلاده في غاية الذل ولا يولونهم الوظائف الجليلة التي تمكنهم من مصير المسلمين ورقابهم ([38]) فشكى للسلطان الناصر محمد وبكى بكاءًا شديدًا ,فاستدعى الناصر سلار وبيبرس الجاشنكير وعنفهم أشد تعنيف وقال لهم " كيف ترجون النصر والنصارى على هذا الحال"([39]) ويلبسون البياض ويركبون الخيول ويلبسون الجواهر , فأمر أن يلتزم النصارى بلبس عمامة زرقاء , واليهود يرتدون عمامة صفراء,السامرة يرتدون العمامة الحمراء تميزًا لهم عن المسلمين , ويركبون الحمير ويعزلون من مناصبهم([40]), فدخل كثيرًا منهم الإسلام حتى يحتفظون بمكانتهم وهيبتهم أمام الناس,كذلك لانفتهم من ركوب الحمير([41]) فسعى البعض منهم لدى الأمراء بالتشفع فيهم لكن لم يفلح ذلك , وغلقت الكنائس لمدة سنة, إلا أن شفع فيهم ملك برشلونة بفتح الكنائس

---

[38]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج8 , ص108

[39]) المقريزي : السلوك , ج2 , ص337 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج8 , ص108

[40]) يوضح النويري في كتابة نهاية الأرب العهد العمري الذي وضعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه اثناء فترة خلافته لأهل الذمة والتي تنص " ان يميز النصارى بلبس العمائم الزرق , واليهود بلبس العمائم الصفر , وتميز نسائهم بعلامة تظهر كلا حسب ملتهن , ولا يركبون الخيول ولا يحملون السلاح , ويركبون الحمير ببردعة توضع فوق ظهور ها بلا زينة او ابهة , ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت المسلمين , ولا يعلو بنائهم علي ابنية المسلمين , ولا يظهرون أعيادهم , ولا يدقو النواقيس , ولا ينصّرون مسلمًا أو يهودونه , ولا يشترون من الرقيق مسلمًا او من سبايا المسلمين , ومن دخل منهم الحمّام يميز نفسه بجرس في عنقه , ولا ينقشون خواتمهم بنقوش عربية , ولا يعلمون أولادهم القرأن , ولا يستخدمون مسلمًا في أعمالهم الشاقة , ولا يرفعون النيران , ومن زني بمسلمة قتل " النويري : نهاية الأرب , ج31,ص 260؛ ابن حبيب "الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ين حبيب ت 779هـ / 1377م ": تذكرة التنبيه في أيام المنصور وبنيه , مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور – محمد محمد أمين , تحقيق التراث , الهيئة العامة للكتاب , 1982م. , ج1 , ص222 وكان ممن أسلم من النصارى حتي يحتفظ بوظيفته و هو مستوفي الصحبة امين الملك عبد الله بن الغنّام , وأسلم خلق كثير ممن كانوا يعملون في دووابن السلطان و عند الامراء , بعد أن رفض بيبرس الجاشنكير اموال كثيرة عرضت عليه للتغاضي عن تنفيذ العهد العمري الا انه رفض وبشدة , والتزم اهل الذمة بذلك من مصر الي العراق والشام , النويري : نهاية الأرب , ج31 , ص260؛ : ابن كثير : (الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر , ت 774هـ) : البداية والنهاية , المجلد السابع , دار التقوى , م7 , ج14 , ص18؛ المقريزي : السلوك , ج2, ص339؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج8 , ص109 23؛المقريزي : السلوك , ج2 , ص338

[41]) وكان ممن أسلم من النصارى حتي يحتفظ بوظيفته و هو مستوفي الصحبة امين الملك عبد الله بن الغنّام , وأسلم خلق كثير ممن كانوا يعملون في دووابن السلطان و عند الامراء , بعد أن رفض بيبرس الجاشنكير اموال كثيرة عرضت عليه للتغاضي عن تنفيذ العهد العمري الا انه رفض وبشدة , والتزم اهل الذمة بذلك من مصر الي العراق والشام , النويري : نهاية الأرب , ج31 , ص260؛ ابن كثير : البداية والنهاية , م7 , ج14 , ص18؛ المقريزي : السلوك , ج2, ص339؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج8 , ص109

للقبط , وكذلك تحت ضغط من أمبراطور القسطنطينية([42]),وبعض أمراء أوربا والبابا في فتح الكنائس للنصارى , مقابل أن يحسنوا هم معاملة المسلمين المقيمين في بلادهم, وتكررت المناوشات بين المسلمين والنصاري في عام 724هـ 1323م ,لكن والي الأسكندرية أراد أن يحمي النصارى من بطش المهمشون الذين أرادوا الفتك بهم , فأدخلهم الكركي والي الأسكندرية في باب من أبواب المدينة ليحمي النصارى من أيدي المهمشين ([43])فكسرالمهمشين الباب , وثارو على الوالي الكركي وأعتبروه متحيزا للنصارى , فعلم الناصر محمد بما جرى فأرسل أمراء لحكم الأمر لكنهم أوقعوا النكاية بالعوام وضربوهم وصلبوهم وأحدثوا فيهم أمورًا شنيعةوراح في هذه الفتنة الصالح قبل الطالح .

ولا يفهم من ذلك أن النصارى كانوا غير متوافقين مع المسلمين في حياتهم المعيشية , بل كانوا في أنسجام وتوافق في معظم الأوقات , فقد كان جميع الحكام والسلاطين يشملون النصارى واليهود بنوع من الحماية والعطف , بل وكانوا يعطونهم حقوق المواطنة وتولى المناصب العليا في كثير من الأحيان , فعندما تولي المعز أيبك السلطنة أستعان بالأقباط في دولته حيث أسند وظيفة الوزارة إلى شرف الدين ابي سعيد هبة الله صاعد الفائزي القبطي , وبذلك يكون أول قبطي يتولى الوزارة في عهد المماليك ([44]).ونراهم في واقعة الأسكندرية سنة 767هـ / 1365م في عهد الأشرف شعبان عندما أغار القبارصة على مدينة الأسكندرية بأساطيل تحت قيادة بطرس الأول, فقتل ونهب أهالى الأسكندرية وأصبحت الجثث متناثرة في كل مكان في شوارعها , فقام الأوباش والزعر والعربان بمهاجة المدينة ليلاً لينهبوا ما تركه القبارصة مبعثرًا على الأرض , أخذين معهم جليل القدر وتاركين ما دون ذلك فنهبه الاوباش دون مراعاة وضع القتلى والخراب والحرق الذي أحل بالمدينة ([45]) ونراهم في واقعة الأسكندرية سنة 767هـ / 1365م في عهد الأشرف شعبان عندما أغار القبارصة على مدينة الأسكندرية بأساطيل تحت قيادة بطرس الأول, فقتل ونهب أهالى الأسكندرية

---

[42]) وكان امبراطور نيقية في ذلك الوقت هو ميخائيل التاسع من أسرة باليولوجوس الذي حكم من سنة 695هـ / 1295 – 720هـ / 1320م , وقد شارك أباه في الحكم سنة 1281م وتوفي وله من العمر 43 سنة , وقد حكمت أسرة باليولوجوس العاصمة فقط القسطنطينية وبعض المدن المحيطة بها وذلك بسبب أحاطة صربيبا لها من الغرب والأتراك من الشرق , وظلت كذلك حتى فتحت القسطنطية علي يد احد حكام الأتراك وهو محمد الثاني الذي لقب بمحمد الفاتح سنة 1453م ؛ اما كلمة الأشكري فهي ترجع نسبة إلى اسرة الأشاكرة التي حكمت نيقية قبل حكم اسرة باليو لوجوس مباشرةً, مصطفي زيادة : تاريخ الدولة البيزنطية , ص71

[43])ابن بطوطة : تحفة الأنظار , ص46

[44]) زبيدة محمد عطا : قبطي في عصر أسلامي , ص157

[45]) النويري السكندري " محمد بن قاسم بن محمدالنويري السكندري ت775هـ ": الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الأسكندرية , ج1 , ص608

وأصبحت الجثث متناثرة في شوارعها , فقام الأوباش والزعر والعربان بمهاجة المدينة ليلاً لينهبوا ما تركه القبارصة مبعثرًا على الأرض,أخذين معهم جليل القدر وتاركين ما دون ذلك فنهبه الاوباش دون مراعاة وضع القتلى والخراب والحرق الذي أحل بالمدينة([46])ونجد أن الأمر قد تكرر في عام 782هـ / 1381م أمرالأمير برقوق الأتابكي العوام أن ينهبوا منزل الأمير بركة فقال لهم:"عليكم ببيت بركة فأنهبوه"فحرقوا باب منزله ونهبوا كل ما في بيته حتى رخام الحوائط ([47]) واستمرفى عهد ابن برقوق في فتن بين الأمراء فأستغلها المهمشون من الزعار واللصوص وحرافيش في النهب الي كل ما تصل اليه ايديهم حتى انهم خطفوا العمائم من رؤوس الناس في الشوارع , فجعل الوالي بتعيين حراس على كل حارة([48])كذلك في عهد الظاهر جقمق ففي سنة 842هـ / 1437م حدث إضطراب شعبي بسبب هروب العزيز يوسف من القلعة ففرق السلطان جقمق الذهب على الزعار والحرافيش وذلك مقابل ان لا يتجمعوا حوله, وبالفعل تفرق الزعار عن العزيز يوسف , وتم له التأيد من قبل الشعب([49])

ومن ذلك القول طوال العصر المملوكي وخاصًة الجركسي كان بين الزعار واللصوص والحرافيش والسلاطين شد وجذب من وقت لأخر , فلا الحرافيش والزعار كفت عن ثوراتهم وشغبهم والأستفادة بنهبهم للأمراء ولا السلاطين كفوا عن التصدي لذلك الأمر بل يأتى عليهم أوقات يقوموابالأستفادة منهم سياسيا لتوطيد سلطنتهم او الثأر من الأمر بينهم وبين بعضهم الي اخر العصر المملوكي.

دور السلطة الحاكمة في مساعدة المهمشين:

لم يكن الحكام المماليك منذ نشأتهم وظهورهم على مسرح الأحداث في مصر مغيبين عن الأحداث التي تطرا على الشعب المصري من غلاء ووباء وأخطار قد تحدث من وقت لأخر , لكنها قد تختلف من حاكم لأخر حسب قوته مكن جهة ومن حيث عطفه ورأفته بالمهمشين من جهة أخرى , وذلك لأنه يعلم جيدًا أن هذا الشعب إنما يحكمه لحمايته من أي أخطار خارجية أو داخلية من

---

[46]) كان والي الأسكندرية في ذلك الوقت هو الأمير صلاح الدين خليل بن عرام , وتغيب عن المدينة لأداء فروض مناسك الحج , فسلم المدينة لنائبه الأمير جنغرا , والذي أساء لأمانة وهى الحفاظ على امن المدينة الى حين العودة من الحج حيث هرب الي دمنهو حامل معه أموال الخزينة وبعض حاشيته , تارك ورائه المدينة تلقا ما تلاقيه , النويري : وقعة الأسكندرية , ج1 , ص368

[47]) ابن دقماق : الجوهر الثمين , ص451 ؛ المقريزي : السلوك , ج5 , ص84

[48]) ابن اياس : بدائع الزهور , ج1 , ص790

[49]) ابن الصيرفي(الخطيب الجوهري على بن دواد بن أبراهيم نور الدين بن الصيرفي ت900هـ): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان,تحقيق حسن حبشي, وزارة الثقافة مركز تحقيق التراث دار الكتب ,القاهرة , 1973. , ج4 , ص33

كوارث طبيعية كنقص ماء النيل فيتبعه غلاء وجوع أو أمراض فتاكة كالطواعين التي تقضي غالبًا على معظم الشعب سواء فقراء مهمشين أو أغنياء ميسورين , وهنا تظهرجدارة الحاكم في قدرته على أحتواء المواقف الصعبة وعمل الأحتياطات الواجبة للتصدي لها حتى يتفادى أى ضرر ممكن و مساعدة الحكام للمهمشين في أوقات الغلاء كثيرة منهاأن في عام 662هـ / 1263م وصل الغلاء حد ما يطيقه أهل مصر حتى أن القمح وصل إلى مائة درهم فطلب السلطان الظاهر بيبرس بتسعير القمح للرفق بالرعية , لكن حدث العكس وأشتد الغلاء أكثر من ذي قبل , وقل الطعام والخبز , مما حدا بالسلطان أن أوقف التسعير وفتح الأهراء([50])وباع خمسمائة أردب قمح كل يوم للمخابز لأطعام الضعفاء والأرامل والفقراءالذين لايستطيعون شراءالخبز([51]),ثم فرق المساكين وذوي الحاجة على الأمراء كلاً حسب مقدرته ورتبه, كذلك في عهد المنصور قلاون حدث غلاء في الأسعار فقام المنصور بإلغاء الضرائب التي كانت على الالات الزراعية, فرخص السعر وبهج الناس([52])وفي عهد زين الدين كتبغا سنة 694 هـ/ 1292 م حدث في مصر غلاء كبير فقد تم بيع أردب القمح بمائة وخمسين درهمًا فأرتفع عدد الوفيات من شدة الجوع لعدم توافر الخبز والسلع الغذائية , فأكل الناس القطط والكلاب والحمير , ومن المؤسف في الأمر أن أكل الناس بعضهم البعض فقام السلطان كتبغا بتفريق الصعاليك والفقراء على التجار ومياسر الناس والجند كل حسب رتبته فأنصلح الحال,كذلك قام كتبغا بتكفين ودفن عدد ضخم من الأموات([53])ومن جانب أخر فقد قام السلطان الناصر محمد طول فترة عهده بمساعدة المهمشين وتقليل حمل الضرر عنهم بكل طريقة وسبيل أن أمكن له ذلك وبكل ما استطاع من جهد وتشهد لنا جميع الكتب من مصادر ومراجع على مواقف وأحداث ينصف فيها المهمشين من الشعب المصري , بل وتؤكد أنه كان غير من مشكلات أحداثهم اليومية , ففي عام 720هـ/ 1320م وقف حال الناس بسبب تعامل الناس بالفلوس الزغل ([54]) التي كانت أخف وزنًا , فتعطل حال الناس مما سبب غلاء للأسعار وأغلقت الباعة دكاكينها فتأثر المهمشين بطريقة غير مباشرة لآنهم يقتاتون من فتات اليومية التي يأخذونها

---

[50]) الأهراء هي الشون السلطانية التي يخزن فيها القمح والغلال الأخري للأغراض السلطانية وهذا يستخدم وقت الزمات , القلقشندي :صبح الأعشي , ج4 , ص33

[51])) ابن عباس " شافع بن على بن عباس " : حسن المناقب السرية في السيرة المنتزعة من السيرة الظاهرية , تحقيق عبد الله الخويطر , ط2 , الرياض , 1989. ص 151 ؛بيبرس الداويدار : زبدة الفكرة , ص88

[52]) المقريزي : السلوك , ج2 , ص122

[53]) المقريزي : السلوك , ج2 , ص267

[54]) هى فلوس ذهبية أو فضية لكن غششت بمعادن أخري أقل قيمة , أو أقل في الوزن وفي القاموس المحيط الكذب , الفيروز أبادي " مجد الدين محمدبن يعقوب الفيروزابادي ت817هـ": القاموس المحيط مرتب ترتيب الفبائيا وفق أوائل الحروف ,دار الحديث , القاهرة , 2008م., ص709

من أصحاب الدكاكين , ومن الممكن ان تضررهم كان أصعب من أصحاب الدكاكين أنفسهم,مما جعل السلطان محمد يقوم بضرب فلوس جديدة ثم قام بتوزيعها على الصيارفة,فأدى ذلك بانتعاش السوق, وفي عام736هـ/1337م قام الناصر محمد بمواجهة الغلاء الذي حل بهم في مصر فقام بأجبار التجار بأظهار الغلال التي لديهم ثم عين شخص أمين يسمى ضياء الدين بن الخطيب المحتسب بتفريق ووزن تلك الغلال وتفريقهاحتى أنحلت الأزمة([55])

وعام753هـ/1352م في عهدالأشرف شعبان فقد أفنى هذا الوباء ثلثي البشر من سكان الأرض بصفة عامة وعلى مصر بصفة خاصة ([56]) .

وفي عام 775هـ / 1373م هبط ماء النيل وأشتد الغلاء فأمر الأمير منجك أتابك العسكر بجمع الحرافيش وقام بتوزيع الخبز واللحم عليهم سنة كاملة , حتى أنهم أكلوا خبز الفول وخبز النخال , فكان نصيب كل شخص رغيفين وشئً من الطعام ([57])

كذلك في عام 784هـ/ 1382م في عهد الظاهر برقوق ومع بداية الدولة المملوكية الجركسية أستغل بعض العوام موقف عدم وجود الأمن الذي صاحبه بداية تولية برقوق السلطنة ,فقاموا بأخذالخبز والطعام وباعوه,ثم قاموا بالأستجداء مجددًا من الناس ([58]).وفي عهد المؤيد شيخ عام 818هـ / 1415م حدث غلاء كبير([59])عدم فيه الخبز وأضطرب الناس بالجوع في جميع جهات مصر, فنادى المؤيد شيخ بمصر كلها بالأمان وباشر شون القمح بنفسه وأحكم الأسعار بعد أن وصل إردب القمح إلى ثلاثمائة درهم([60])وأن وجد,حتى سكن الحال وأكل الفقير قبل الغني بأشراف

---

[55]) المقريزي : السلوك , ج3 , ص200 ؛ حياة ناصر حجي : الناصر محمد , ص41

[56]) وهو الوباء الذي أطلق عليه المؤرخين مصطلح " الموت الأسود " الذي أجتاح العالم أجمع وتسبب في هلاك أكثر من مائة مليون أنسان , بل ولم يسلم منه الحيوان , المقريزي : السلوك , ج4 , ص168

[57]) ابن اياس : بدائع الزهور , ج1 , ص197

[58]) المقريزي : السلوك , ج5 , ص384

[59]) ويذكر لنا ابن حجر العسقلاني ان سبب الغلاء هو تكرار الفتن بين العُربان ومهاجمة العسكر لهم مما أتلف الزرع في كل مرة تنتجه الأرض , مما نتج عنه شح الزرع بعد أن كان رخيص للغاية , ابن حجر العسقلاني : (شهاب الدين ابو العباس احمد العسقلاني ,ت 852هـ \ 1448) : إنباء العمر بأبناء الغمر المجلس الأعلى للشؤون الآسلامية , تحقيق حسن حبشي , ط1 , القاهرة , ج3, ص69

[60]) وقد أختلف المؤرخون في سعر القمح والسلع الأساسية في ذلك الوقت من قمح وشعير وتبن وغلال أخرى فذكر ابن حجر أن سعر الأردب 300 درهم , ويذكر المقريزي في السلوك أنها وصلت 650 درهم , وابن تغري بردي قال أنها وصلت الي 600 درهم , هذا بخلاف ضربه بمائة درهم وأذا عجن بلغ 800 درهم أخرى , والشعير 130 درهم , ومن الواضح أن المقريزي هو أصح الأقوال في ذكر ثمن القمح والسلع كذلك لأنه كان رجلاً بالغًا في ذلك الوقت فمعاصر وواعى للحدث , المقريزي : السلوك , ج6 , ص398؛ ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر , ج3 , ص69 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج13 , ص190

مباشر من المؤيد شيخ بنفسه لحل الأزمة([61]).وفي عام 821هـ /1417م حل الوباء والغلاء في جميع أنحاء مصر فما جعل المؤيد شيخ ينزل بنفسه للأستسقاء وذبح الماشية بيده وقام بتوزيع اللحم مع توزيع ثلاثين الف رغيف يوميًا على المهمشين والفقراء بنفسه حتى أنجلت الأزمة([62])ومن جهود السلاطين تجاه الطبقات المهمشة أنهم كانوا يشيدون البنايات لمساعدة الطبقات المهمشة , مثل المارستانات والجوامع والمدارس والربط والخوانق والزوايا ومن أهم المنشائات التي بنيت في عهد سلاطين المماليك هي المارستانات([63]),حيث ساهم في علاج الكثير من الفقراء بل ووصل الأمر الي الأمراء كذلك كما أوصي المنصور قلاوون بذلك في عام683هـ/1284م([64])وتم انشائه في شارع المعز لدين الله بين القصيرين ([65]) وقد تم أنشائه في إحدى عشرة يومًا على يد علم الدين سنجر الشجاعي وكان الهدف منه علاج جميع فئات الشعب من حر وعبد وكبير وصغير وذكر وأنثى , وقد خصص به مكانًا لألقاء دروس الطب , وقسم المستشفى إلى عدة قاعات , مثل قاعة الرمد وقاعة الجراحة وقاعة القولنج ,وقسم للحميات, وقسم خاص للنساء, وأقامة النساء بعيدًا عن قاعات الرجال , كذلك خصص مكانًا لطبخ طعام صحى للمرضى وتوزيعه على جميع المرضى([66]),ومن مميزات هذا المستشفى أنه ساعد الطبقات الفقيرة والمهمشة من المجتمع المصري بل والغني على حد سواء,([67])وكذلك أتبع الناصر محمد نفس نهج والده في إقامة المؤسسات

---

[61]) المقريزي : السلوك , ج6 , ص396 ؛ ابن حجر العسقلاني , إنباء العمر , ج3 , ص69 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج13 , ص190

[62]) بن اياس : بدائع الزهور , ج1 , ص316

[63]) المارستان , هو لفظ فارسي مقسم الي مقطعين (بيمار) بمعنى المريض , (ستان) بمعني الأرض او مكان , وهو مكان لمعالجة المرضى (المستشفي) , أحمد دهمان : معجم الألفاظ المملوكية , ص41

[64]) هو سيف الدين قلاوون الألفى النجمي الصالحي , من مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب , وقد تولى السلطنة بعد خلع زوج ابنته الملك السعيد بركة خان بن السلطان الظاهر بيبرس, وقد ولاه قلعة الكرك في الشام ثم انتقل الى مصر , ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمدبن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت681هـ) : وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان , تحقيق /أحسان عباس, دار صادر , بيروت , ط1, 1978م., ج4 , ص158

[65]) كانت هذه الأرض ملك القطبيات وأشتراها المنصور قلاوون وما جاورها وأعطاهم مكان أخر يسمى أخر يسمى بالقصر الزمرد وبنى المارستان والتربة والمدرسة , المقريزي : السلوك ,ج2 , ص175؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج7 , ص305

[66]) كما هو الحال في مستشفيات عصرنا الحال مثل مشفى الدمرداش والقصر العينى وغيرها من مستشفيات العالم , المقريزي : الخطط , ج1 , ص407؛ حياة ناصر الحجي , السطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهدة ,ط1 , مكتبة الفلاح, الكويت 1983م , ص87 ؛ ص157

[67]) ابن الفرات : تاريخ بن الفرات , ج1 , ص88 2؛ المقريزي : الخطط , ج3 , ص548

الخيرية التي تعود بالنفع على الفقير المهمش من الشعب المصري , لذلك أهتم ببناء الكثير من المدارس والجوامع والزوايا ([68]) فقد قام الجامع الكبير المسمى بالجامع الناصري سنة 712هـ / 1312م,والذي رتب بها خطيبًا وجمع أربعين صوفي من فقراء الطرق الصوفية داخل الجامع , وهذا بخلاف الأربعين صوفي الذين فوق سطح الجامع , ثم قام بتفريق الخبز واللحم عليهم بالإضافة إلى خمسة عشر درهمًا شهريًا لكل منهم([69])كذلك ألحق بهذا الجامع ربع وحمام لخدمة الجامع , وكان موقع هذا الجامع في ساحل مصر,او فم الخليج كما ذكرت ذلك حياة حجي([70])وفي عام 718هـ /1318م قام الناصر محمد ببناء جامع القلعة([71]) كذلك أنشأ السلطان برقوق تربة ومدرسة لأسكان المتصفة ؛ وذلك لأعتقاده فيهم , حتى أن أنه قال أريد أن أدفن تحت أقدام الصوفية([72])ويذكر لنا المقريزي أن بعض الأمراء المماليك قاموا ببناء الكثير من الجوامع والمدارس والخانقاوات([73])التى دائمًا تقدم عونًا للفقراء والمساكين .

ومن جانب أخر فإن ما تقدمه السلطة الحاكمة للضعفاء والمهمشين يذداد ويتعدد حسب الحالة للسلطان من تقرب لله وللعامة لكسب قلوبهم وتأيدهم له وعدم الثورة ضده او إحداث أي مشاغبات. ومن منطلق الحديث الشريف " داووا مرضاكم بالصدقة " ([74]) كان السلطان إذا مرض هو أو أحد من زويه , يوزع الصدقات أملاً في الشفاء كما حدث في عام 687هـ / 1288م فقد داوم السلطان منصور قلاوون عندما مرض ابنه الصالح علاء الدين علي بمرض الدوسنتاريا الكبدية على الإكثار من الصدقات على الفقراء لكي يدعوا له بالشفاء ليستجيب الله لهم كما أمرنا الأسلام , وعندما توفي الصالح على , حزن عليه أبوه المنصور قلاوون , فأنفق خمسة ألاف دينار وذلك من أجل أن يطلب الفقراء من الله الرحمة له([75]).كذلك فعل السلطان الأشرف خليل في عام 690 هـ/ 1291م عنما أحتفل بفتح عكا فزار قبر والده المنصور قلاوون وفرق على القبر الكثير من الصدقات من أموال وملابس وطعام وفرق الكثير من الصدقات ايضًا على الربط والزوايا والخوانق وكان ذلك

---

[68]) ابن بطوطة : تحفة الأنظار , ج1 , ص56 ؛ حياة ناصر حجي : السلطان الناصر محمد , ص86

[69]) المقريزي : السلوك , ج2 , ص479 ؛ حياة ناصر حجي : السلطان الناصر, ص93

[70]) موقعه في شبرا بعد أمبابة , محمد رمزي : معجم , ج2 , ص168, حياة حجي : السلطان محمد , ص93

[71]) حياة ناصر حجي : السلطان محمد , ص93

[72]) المقريزي : السلوك , ج6 ؛ محمد محمد امين : الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر عصر سلاطين المماليك (648-923هـ / 1250-1517م) دراسة وثائقية , دار النهضة العربية , القاهرة ,ط1 , 1980م ,ص142

[73]) المقريزي : السلوك , ج3 , ص133

[74])إ ن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " تصدقوا وداووا مرضاكم بالدقة , فإن الصدقة تدفع عن الأعراض والأمراض " ,المقاصد الحسة رقم 413

[75]) بيبرس الداويدار : زبدة الفكرة , ص264 ؛ المقريزي : السلوك , ج2 , ص207

بمناسبة الأحتفال بفتح عكا في الشام مما كان له الأثر العميق بالبهجة في نفوس الفقراء المهمشين([76])في عام 715هـ / 1315م مرض الناصر محمد وعندما عوفي من مرضه,أفرج عن أهل السجون وطلع الناس لتهنئته,وفرح أهل الناس جميعًا([77]) ولا يقل الظاهر برقوق من فعل الخيرات عن سابقيه من السلاطين رجاءأ لطلب الدعاء منهم أثناء مرضه في عام 801هـ/ 1398م , حيث تعرض لوعكة صحية شديدة مصحوبة بقئ وإرجاف وإسهال شديد , فلزم الفراش عشرين يومًا فرق خلالهما على الفقراء الذهب الكثير أما عن الملك الأشرف برسباي فلإنه سار على نهج أسلافه في العناية بالفقراء وقت المرض ففي عام 837هـ/ 1433م حدث له توعك في جسده وشعر بألالام شديدة , فأرسل بمال يفرق على الفقراء([78])والملك الأشرف قايتباي أيضا أثناء فترة حكمه فرق على الفقراء ما يقارب ثمانين ألف دينار,وأعطى رجل أنجب أربعة أولاد توأم,عشرة دنانير وخمسة أرادب قمح كل شهر,وعفا عن بعض المساجين الذين كانوا معتقليين في سجن المقشرة,من بينهم مسجون محكوم عليه بثلاثين عامًا,قد أخرجه حتى يسدد ما عليه من ديون([79]),ومن الواضح أنها عادة عند سلاطين الدولة المملوكية وهى التصدق بها على الفقراء وقت المرض وشعورهم بدنو أجلهم فإنهم يقوموا بالتصدق على الفقراء , وهذا ما فعله السلطان خشقدم سنة 872هـ/ 1467م , فعندما مرض السلطان خشقدم وأحس بأقتراب أجله,فقام ببيع حصان من الأسطبل الملكي للأمير ابن العيني بالف دينار وفرق ثمنه على الفقراء المهمشين([80])

أما بالنسبة للمرضى وأصحاب العاهات فقد قام بعض السلاطين بخطوات جاهدة تجاههم فهم الفئة الضعيفة في مجتمع المهمشين ففي عام 664هـ /1262م قام الظاهر بيبرس بتجميع أصحاب العاهات والعميان والكسيحين إلى خان السبيل فأعد لهم مدينة مهيأة وملائمة لمعيشتهم , إلا أنهم لم يستمروا في المعيشة داخل هذه المدينة الجديدة ورجع أكثرهم إلى القاهرة مرة أخرى([81]),ويبدو أن هذا يرجع إلى رغبة أصحاب العاهات في الأنخراط المجتمعى وطرد أحساسهم داخل أنفسهم بالعجز والأختلاف ولم يركنوا إلى وفرة الطعام والكساء فقط وهو الذي وفره لهم الظاهر بيبرس لكنه لم يراعى البعد النفسي لديهم , بل أنهم أرادوا أن يكتشف مهارتهم التى كان من الممكن أن يستفاد بها كل حسب مهارته لآنهم لم يقيموا قدراتهم العقلية ومعظم حواسهم الأخرى وأطرافهم وأنهم يستطيعون الأبداع في أي مجال طالما توفر لهم ذلك المناخ المناسب ,ةالسبب الأخر أنه عمل

---

[76]) المقريزي : السلوك , ج2 , ص223 ؛ ابن أياس : بدائع الزهور , ج1 , ص207

[77]) المقريزي : السلوك , ج2 , ص506

[78]) المقريزي : السلوك , ج7 , ص264

[79]) ابن أياس : بدائع الزهور , ج2 , ص347

[80]) ابن أياس : بدائع الزهور , ج1 , ص386

[81]) بيبرس الداويدار : زبدة الفكرة , ص156

على اشعال التناحر بين العميان والعرجان وأصحاب الخلل العقلى كذلك ما فعله الناصر محمد سنة 730 هـ /1329م بجمع أصحاب مرضى الجذام والبرص خارج القاهرة([82]) وأسكنهم الفيوم وذلك سعيًا منه بعدم أختلاطهم بالسكان حتى لا تنتشر العدوى بينهم.

إن نشر العدل ودرء الظلم من أهم أعمال الدول ولهذا الغرض أحدث السلطان صلاح الدين أيوب نظام يومين في الأسبوع لسماع شكاوى الناس والتي كانت في الغالب يومي الأثنين والخميس ثم شكل الجلوس للقضاء سمات العصر المملوكي فتبعه الظاهر بيبرس في ذلك , فلم يبخل على الناس بالعدل بين الناس إذ تبنى الفكرة وبنى دارًا للعدل ليجلس فيها للنظر في القضايا والفصل فيها بنفسه([83]),فكثير من هذه المظالم عادة تتطلب يدًا عليا قوية تفصل بين الناس بعين الحق لإعطاء كل ذي حق حقه ,وبطبيعة الحال قام المنصور قلاوون بنفس الهيئة للنظر في القضايا بين الناس يومي الأثنين والخميس([84]) ويذكرابن بطوطة أن الناصر محمد قد خصص يومي الأثنين والخميس ليستمع إلى المتخاصمين ويقضي بين الناس بالحق([85])وهذا الأمر قد أستمر كذلك طول العصر المملوكي الجركسي فنجد أن الظاهر برقوق قد ضرب أروع الأمثال بعدله وشموله الرعية بأنصافه , فأنتصر الضعيف على القوي , وصاحب الحق على الظالم فيما يخص العدل بين الرعية فقد خصص يومي السبت والثلاثاء بالفصل بين رعيته([86]). و كذلك سمح الظاهر برقوق للعامة بنهب الشقق الحرير من تحت أرجله أثناء تنصيبه وكانت العادة أن تكون من نصيب الجمدارية([87])كذلك السلطان برسباي الذي كان يجلس في دار العدل بنفسه للفصل بين الناس ومعه مائة رجل زنجي لتنفيذ الأحكام ضد أصحاب الجرائم في حضرته وكان معتاد الجلوس في هذاالأيوان للقضاء بين الناس ([88]).

اماالغاءالضرائب فهى من أجل ما يقوم به الحكام تجاه الطبقةالمهمشة,ففي عام648هـ/ 1250م قامت شجرالدر بخفض الضرائب بغية التقرب من الشعب ومنحها ثقتهم ورضاهم لها في حكم

---

[82]) البرص والجذام أمراض جلدية ومعدية تحدث تشوه في الجسم , المقريزي : السلوك , ج3 , ص123

[83]) خضر محمد الطائي : الدولة المملوكية في عهد الظاهر بيبرس , دراسة حضارية , رسالة لم تنشر , جلمعة ال البيت , 2016, ص72

[84]) المنصور قلاوون بنفس الهيئة والنظر في القضايا بين الناس يومي الأثنين والخميس

[85]) ابن بطوطة : تحفة الأنظار , ج1 , ص63؛ حياة ناصر الحجى : السلطان الناصر محمد , ص33

[86]) ابن دقماق : الجوهر الثمين , ص484 ؛ ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة , ج12 , ص8

[87]) هم الذين يتصرون للباس السلطان فهى كلمة تتكون من مقطعين جامة اي الثياب (بجامة) دار اي ممسك , وتعني ممسك الملابس , أحمد دهملن , معجم الألفاظ المملوكية , ص54

[88]) طافور (بيرو طافور): رحلة طافور في القرن الخامس الهجري ,ترجمة/ حسن حبشي , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة , 2002 , ص67

مصر لكن لم يتحقق لها ذلك لكونها أمراقوالشعب المصري لم يعتاد على ذلك([89])وفي عام658هـ/ 1260م قام الظاهر بيبرس بأبطال كل الضرائب التي كان مقررها المظفر قطز على العامة,وهذاأسترضاء لخواطر الرعية([90]),ففرحت العامة وأنشدوا:

لم يبق الجور في أيامكم أثر إلا الذي في أيامكم من حور([91])

وفي عهد الناصر محمد سنة 715هـ / 1315م أبطل الكثير من الضرائب التى كانت ترهق الرعية والفلاحين عند تعيين مقياس النيل ([92])؛كذلك أبطل ضرائب المكوس([93]) و ألغى ضريبة نصف السمسرة([94]) وهي الدرهم حق السلطان , كذلك أبطل حق المسجونين وكانت ستة دراهم كانت تجبى من المسجون حتى لو حبس لدقائق , ورسوم الأفراح التى كانت تجبيها ضامنة لتدفعها إلى السلطان , وأبطل طرح الفراريج , ضريبة كانت تجبى من الفلاحين للدجاج ([95])

ليس هذا فحسب فعندما تولى الملك الأشرف شعبان سنة 776هـ / 1374م , ألغى ضريبة ضمان المغاني ([96]) التي كانت تجبى من النساء الذين يمارسن الفاحشة كل ليلة يباتون فيها خارج منزلها حتى لو باتت عند أهلها تدفعها إلى الضامنة([97]) مما جعل المغانى تصطاد أى شخص يمر من دربهم يدفع مال أو يمارس الفاحشة([98])وهى تعد من محاسن الأشرف شعبان كذلك ألغى ضمان القراريط وهي تجلب من كل قيراط اربعة وعشرين درهم([99])وهناك من المواقف الجليلة التي فعلها السلاطين من مختلف الآوقات للتصدق على المساكين أو الغاء ما عليهم من ضرائب خصوصًا الفلاحين .

---

[89]) ناصر الأنصاري : المجمل في التاريخ النظم السياسية والآدارية , دار الشرق , ط1 , 1993 , ص160

[90]) بيبرس الداويدار : زبدة الفكرة , ص55

[91]) ابن أياس : بدائع الزهور , ج1 , ص311

[92]) النويري : نهاية الأرب , ج32 , ص173

[93]) المكوس , جمع مكس وهى ضريبة يأخذها الماكس عند دخول التجار ببضائعهم الى البلاد , نهاية الأرب : ج32 , ص175

[94]) السمسرة هي وسيط بين البائع والشارع ومقدارها درهمين على كل مائة درهم يأخذ السلطان درهم ونصيب السمسار الدرهم الثانى , والسمسار هو الوسيط لتسهيل الصفقة , النويري : نهاية الأرب , ج32 , ص 175

[95]) النويري : نهاية الأرب , ج32 , ص175

[96]) هم نساء يفعلن الفاحشة ويمارسون أعمالاً منافية للأداب

[97]) هى المرأة التي تلتزم أمام الحكومة بدفع الضريبة المستحقة يوميًا عنهن جميعًا مقابل ممارستهن مهنة الدعارة

[98]) ابن أياس : بدائع الزهور , ج1 , ص198

[99]) أبن اياس : بدائع الزهور , ج1 , ص198

ومن بناء منشائات عديدة لمساعدتهم من بناء مستشفيات وأسبلة وخوانق واربطة وزواياومساجد لمساعدتهم من جهة ورغبة منهم في رضاء الله عز وجل بأعتبار أن مساعدة الفقراء من أجل الأعمال التي تقتضي محبة الله عز وجل.

موقف المهمشين من الحروب الداخلية :

للمهمشين دورًا بارزًا في الحروب التى كانت تنشب عادةً بين الأمراء والسلاطين أوبين الأمراء والأمراء بعضهم البعض ,من وقت لأخر بغرض الأحتواز على الحكم أو الفوز بمنصب رفيع في حالة ان كان أمير ,وأذا عجز المنتفع عن أخذ ما أراد فأنه يستعين بالمهمشين , وهم بالفعل دائمًا يمكنون المستعين بهم بقضاء ما يريد لقاء مبالغ تدفع لهم.

كذلك اصبح المهمشون أن يتدخلوا في السياسة إذا وجدواأن السلطان يمسه خطر ما والغريب أنهم يستطيعون فعل ذلك ولا شك أن أعدادهم الغفيرة هى السبب وراء أمكانية تمكينهم ذلك ومن ناحية أخرى تسلطهم وجرأتهم وبذائة لسانهم و كذلك أستعمالهم البلطجة والفوضى هذه الأسباب هى أحد أهم أسباب نجاح مهمتهم فقد يقومون بخلع سلطان أو مساعدة سلطان في الحكم و ويمتد ذلك الى الأمراء والولاة والمحتسبة كما فعل البخانسى والي القاهرة عندما سلط المهمشين على الوالى الذي قبله حتى خلعه السلطان وتولى هو أمر الولاية لقاء مائتي الف درهم وبالفعل تم له ما أراد وعندما قام السلطان برقوق بالتمكين للحكم قام بالأستعانة بالزعر والفتوات والمناسر وأعطاهم الأسلحة وكادت أن تخرب مصر جراء ذلك لآنهم هددوا العامة الأمنين ولكنهم بالفعل مكنوه من الحكم في نهاية الأمر , وهذا اينما يدل على عجز الدولة في تدبير أمرها بالأستعانة بالزعر وسوء تربية المماليك الجلبان مما عجل. بسقوطها في نهاية الأمر عام 923هـ / 1517م.

التأثير الأجتماعي للمهمشين من الحروب الداخلية :

ونتج عن هذا فوضى للدولة وأثرعليها بالسلب من الناحية الأجتماعية .من أبرزها إنعدام الشعور بالأمان بين طبقات الشعب المختلفة مما تسبب في خوف شديد جراء التطاحن الذي ينتقل من القلعة إلى شوارع مصر وأسواقها فنجد في عام 652هـ / 1254م قام الفارس أقطاى هو و مماليكه بنهب العوام, حتى أنهم خطفوا النساء من الحمامات بالقوة هذا خلاف ما سلبوه من أموال وبضائع ولم يجروء شخص من العامة بالأعتراض على ما فعل , فضاق بالناس على ما فعله أقطاى حتى أن ابن كثير علق على هذا الحدث وقال " **بغوا وطغوا وتجبروا**",لكن هذا كان أحد أسباب لقاء

حتفه([100]) من المعز أيبك وبالأتفاق مع شجر الدر بقتله ما حدث وأستراح الناس من شغبه فأن بقائه كان يمثل شوكة في ظهر السلطنة وشعبها([101])

و في عهد الناصر محمد الفترة الثانية عام 708هـ / 1308م عندما أراد الأمراء بخلع الناصر محمد لصغر سنه رفض العوام جميعًا ذلك الأمر بل قاموا بالتجمع أسفل القلعة وهتفوا بسلطنته فخاف بيبرس الجاشنكير وجعل الناصر محمد يقوم للناس حتى يهدئوا وفي عام 842 هـ/ 1438م في سلطنة الظاهر جقمق أن الملك العزيز يوسف بن برسباي قد تخفى في زي صبي طباخ بعد عزله وحجزه في القلعة مما نتج عنه أن المماليك كبسوا الحارات في القاهرة ومصر والأسكندرية فنزل بالناس الخوف الشديد , حيث أذاقهم المماليك جميع صنوف العقوبات والهموم وهدم بيوتهم وفرض غرامات فأصبح المكان الذي يحل به مماليك الظاهر في أتعس حال, بل والأدهى أن مماليك المؤيدية لا تتمهل فى فحص الشكاوى المقدمة من العوام , بل تتخذ العنف مباشرة دون تروي , فقد كان الغوغاء والأرازل من العامة ان يرمي من له غريم أو خصم الى تهمة أخفاء العزيز يوسف مما نتج عنه أن حل الخراب في المدارس والقبور مالا يوصف ([102])

دائمًا يثور المناسر علي العامة ويروعون أمنهم ففي عام 890 هـ / 1485م ثار المناسر (هم طائفة المهمشين من قطاع الطرق و الحرامية)([103]) على الناس في الأسواق حتى أغلقت لكنهامع ذلك لم تسلم ايضاًمن النهب

وفي عام 902 هـ / 1487م في عهد الأشرف قايتباي ثار الحرب بين المهمشين وبين عرب بني حرام وعرب السالمة مع بعضهم البعض مما نتج عنه أثار أجتماعية بالغة من ترويع الناس وخطفوا أعمامهم من فوق رؤسهم وقاموا بتخريب قبر الأمام الشافعي والأمام الليث بن سعد رضي الله عنهم

---

[100]) كان من اسباب قتله الأخرى أنه سعى في الزواج من ابنة ملك مدينة حماة وأراد ان يسكنها القلعة وهى محل عقد السلطنة ومن يسكنها يكون هو السلطان الفعلى للبلاد على حد قول أقطاى المستعرب عندما نصح بيبرس أن الأمر لن يكون له إلا بطلوعه القلعة مركز الحكم و والسبب الأخر أنه كان يطلب ما يريد من خزانة الدولة وعجز المعز أيبك عن رفضه طلباته المستمرة من طلب الأموال , كذلك إحاطته بمماليك كثيرة تفوق أعداد ما يمتلكه المعز أيبك نفسه مما جعل عنده عزوة من المماليك أى تهيأت له جميع أسباب السلطنة مع أمكانية الأطاحة بالمعز متى شاء , وهذا السبب الذي نحن في صدده الأن وهو تجبره على العامة في الشوارع والنساء في الحممات وكل هذه الأسباب أجتمعت لقتله دون وجود مماليكه في دهاليز القلعة , النويري : نهاية الأرب , ج29, ص277 ؛ العيني " بدر الدين محمود العيني ت 855هـ": عقد الجمان في تواريخ أهل الزمان ,تحقيق / محمود رزق محمود , دار الكتب والوثائق المصرية , القاهرة ,ط2 , 2010م , ج1 , ص86

[101]) ابن كثير : البداية والنهاية , م7 , ج13 , ص188 ؛ المقريزي : السلوك , ج1 , ص482

[102]) المقريزي : السلوك , ج7 , ص410

[103]) محمد رجب النجار : حكايات الشطار والعيارين , الطبعة 2 , ذاكرة في الكتاب , هيئة قصور الثقافة 2002م , ص176

, كذلك نهب وتعرية الناس في شوارع المطرية وبولاق ومصر عتيقة , مما نتج عنه هزيمة الأمير أقبردي , لانه كان نصيرًا لقبيلة بني وائل على بني حرام , وعندما مر أقبردي ثاروا ضده فهرب منهم بصعوبة بالغة , مما جعل مماليك أقبردي ينتقموا منهم فعاثوا فى نهب سكن العوام ونهبوا حارة زويلة ودخل الزعر علي قبة السلطان حسن في جامعه المشهور وسرقوا رخامه وما يضع عليه أيديهم([104])

كان للزعار دور كبير في هذه الحرب الدائرة بين عربان بني وائل وبني حرام حتى أن الأمير اقبردي كان طرف غير مباشر فيها إلا أن طاله سوء ما يحدث , هذا من ناحية , أما من ناحية أخرى فأن ما طال العوام من زعر ونهب وسرقة مالا يوصف , أما دمار الجوامع فقد نتج عنه أن خطب الجمع تعطلت ستة أشهر وهذا أنما يدل على مدي تأثير الحرب على الجوامع([105])التأثيرالكبير فهم لا يتورعون في نهب قناديل المساجدوسرقتها.

التأثيرالأقتصادي للحروب الداخلية على المهمشين :

كان دائما تأثير الحروب الداخلية جسيم على العوام لدرجة أن الأسواق كانت تغلق وتعطل البيع والشراء وهروب الناس ألى بيوتهم مما نتج عنه عدم تذويد المهمشين من شحاذين وصبية الدكاكين الصغار, أو الذين يبيعون على الأرصفة بجانب الدكاكين وصانعى الطعام الذين يعولون أسرهم والحمالين , فهم شريحة كل أعتمادها في معيشتها اليوم بيومه , أن تعطل معايشهم يوم واحد لا يجدون ما يأكلونه , لذلك فهم دائمًا أكثر الفئات المتضررة من هذا الموقف وعلى مدار التاريخ المملوكي .

ومن خوفهم من حدوث الفتن أن في عام 802 هـ / 1399م خرج الناس مذعورين من الأسواق من خوفًا من النهب , لدرجة أن أي كان يسقط منديله أو درهمه لا يستعني ولا ينحنى لجلبه من الأرض ولا يعي سقوطه من الأصل , فأغلقت الأسواق وخطف المهمشين الخبز من الدكاكين , إلا أن الحرب التي كان مزمع حدوثها بين المماليك كانت أشاعة , ولم تكن إلا جنديين تخاصما أسفل القلعة فزعر الحمير التي كانت بجانب حارة الصليبة فجرت العجلات مما جعل الناس تظن أن الحرب بين الأمير طازأمير أخور والأمير يشبك الداويداروالذين كان متوقع حربهم مع بعضهم البعض انه قد وقع لكن ما حدث ذلك .

---

[104]) ابن اياس : بدائع الزهور , ج2 , ص624

[105]) ابن أياس : بدائع الزهور , ج2 , ص625

إلا أن الأرازل من العامة أستمر تخريبهم للأسواق , ويبدو أن لسانهم قد طال على المماليك وسبوهم , فقام والى القاهرة بضرب جماعة منهم وشهرهم أخر النهار ثم نادي أن "**هذا جزاء من يكثر فضوله و يتكلم فيما لا يعنيه**"([106]) وأن من يتكلم يسمر([107])

وفي عام 824هـ 1421م في عهد الأشرف برسباى حدثت حرب بين الأمير جاني الصوفي ([108]) وباقي الأمراء السلطانية , فأغلقت الأسواق حتى تنتهي الفتنة لكن كان بعد أن تضرر فيها البسطاء الذين يعيشون على فتات ما يتبقى من هامش السوق([109]).

ومن ناحية أخري ففي عام 837هـ / 1433م أراد المماليك الجلبان أن يصرف لهم رواتبهم المتأخرة فنزلوا دار عبد الباسط([110]) ناظر الجيش ونهبوه هو وكل ما مر عليهم في طريقهم فأغلقت الأسواق مرة أخرى وتشردت العمالة اليومية([111])وفي عام 838هـ / 1434م في عهد السلطان برسباي قام المماليك الجلبان بالنزول من القلعة إلى شوارع مصر للقيام بالنهب و السلب فغلقت الأسواق واضطرب الناس في الشوارع وأغلقت الدكاكين وهرب التجار من بيوتهم,مما أفسد على الناس حياتهم اليومية والأقتصادية جراء قفل الأسواق وهي قصبةاقتصادالبلاد,وذلك إتقاء شرور المماليك الجلبان([112])وفي سنة 841هـ م/ 1437م, كثر الخواطئ من نساء الطبقة المهمشة لخروجهم متبرجات في الأسواق , وقد ذاد حدهم إلى مصاحبتهم للصبيان في الشوارع دون خشى أو أعتبار, وصادف إنتشار الطاعون في هذا الوقت , فأرجع الشيوخ إن سبب ذلك الطاعون هو خروج النساء

---

[106]) المقريزي : السلوك , ج6 , ص31

[107]) هي من العقوبات الشنيعة , حيث يدق يديه ورجليه بالمسامير في خشب ويشهر بين الناس , علاء طع رزق : السجون والعقوبات , ص163؛ نجيب عامر : السجون والعقوبات , ص10

[108]) جاني بك , هو جانبك الصوفي الظاهري برقوق , أحد مقدمي القوادرتبة أتابك العسكر وقد أعيا السلطان برسباي في حكمه فقد كان ظالمًا بلا دين وأحدث حروب كثير وكروب على السلطان والناس , حتى أنه عندما قبض عليه وحبس في الأسكندرية هرب ,الى ان تمكن منه السلطان وقتله سنة 841هـ/ 1473م وقال عنه المقريزي , " كان ظالمًا عاتيًا لم يعرف دين ولا كرم ولا مروءة " , وبعد قتله قطعت رأسه وطيفت بها في القاهرة ثم علقت علي باب زويلة ,المقريزي : السلوك , ج7 , ص366 ؛ السخاوي : الضوء الامع , ج3 , ص57؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج14 , ص364 ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي , ج4 , ص224

[109]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج14 , ص96

[110]) عبد الباسط الخليل , ولد عام 784هـ 1382م وتولى ناظر الجيش ف عهد الظاهر ططر , وهو من عمر القيسارية الباسطية عند باب زويلة وكان مقربًا للعامة ويجزل لهم العطائات والصدقات حتى أحبوه جدا , وتوفي عام 854هـ / 1450م, ودفن في تربته التي بناها في الصحراء وقد أوصى أبنه أن يفرق عليه كل يوم مبلغًا من المال , السخاوي : الضوء الامع , ج4 , ص24-25

[111]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج14 , ص237

[112]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج12 , ص151 ؛ ابن اياس : بدائع الزهور , ج1 , ص546

متبرجات بملابس غير المعتاد لبسها في الخروج في مثل هذا الوقت , فحكم الظاهر برسباي بعدم خروج النساء كافة ومن تخرج من بيتها يقطع رقبتها, فأمتنع خروج النساء تماما,لكنه أحدث الكثير من الضرر للنساء الأحرار([113])فقد كان معاش الكثير من الفقيرات الأرامل منهن البيع في الأسواق, ومنعت من كانت تسال الصدقة من الشحاذات على باب الطرقات ([114]),ومنهن من امتنعت من شراء حاجتهم ولو كانت من الإماء , فحدث الضرر البالغ منهن أشد الضرر. أما حروب وتطاحن العُربان وتأثيرها على المهمشين له بالغ الأثر بالسلب عليهم فيحدث غالبًا للفلاحين من بؤس وشقاء جراء تناحر القبائل ما جعله ينعكس بشكل كبير على المزارعين ففي عام 825هـ / 1421م حيث هاجمت قبيلة هوارة وقبيلة لهانة على الصعيد كان له التأثير المباشر على عدم توفير القمح الذي يورد الى مصر , فشح الخبز وعز قوت المهمشين من الفلاحين المزارعين في مصر من جهة والمهمشين والعامة في القاهرة ومصر من جهة أخرى , فقد خربت الصعيد وخلت من أهلها فقل وجود الأغنام وأصبح قوت أغلب أهل الصعيد هو الذرة مما كان له أكبر الأثر في أنهيار الأقتصاد في ذلك الوقت([115])

التأثير السياسي للحروب الداخلية على المهمشين :

كان للزعر والحرافيش دور كبير في الأحداث السياسية التي مر بها الحكام سواء كان دور سلبي أو إجابي فهو على حد سواء قد شاركوا في تشكيل الأحوال السياسية للماليك .

ومن أبرز الأدوار السلبية التي قام بها الزعار والحرافيش مع دخول ملك الأفرنج الأسكندرية وقيامه بنهبها وقتل سكانها في عام767هـ/ 1367م قام ملك الأفرنج بالوقوف في البحر بمراكبه دون حراك , منتظرًا الفرصة التي تمكنه من دخول المدينة , فعندما رأى الزعار والحرافيش مراكب النصارى واقفة أخذوا فى السب بأقبح الشتائم ضد ملك القبارصة , وهو يسمع ويرى ولا يتحرك , ثم أرسل الجواسيس في زي مسلمين يتجسسوا على أحوال الحراسة والعامة , فوجدوا الباعة من العوام والسوقة الصغار يبيعون الطعام بين الناس ويأكلون ويشربون والحراس مستهونون بمراكب القبارصة , فأنتهزوا الفرصة وقاموا بأقتحام المدينة ونهب ساكنيها وقتلهم , ثم خرج في الليل الزعار ينهبون ما سقط من الفرنجة من ثقل حمله وخف سعره أما الفرنجة فقد رموا ما خف حمله وغلى ثمنه, حتى تستطيع المراكب أن تسير في البحر ([116])من المعروف أن دولة المماليك البرجية كانت

---

[113]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج14 , ص276

[114]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج14 , ص274

[115]) المقريزي : السلوك , ج7 , ص53

[116]) المقريزي : السلوك , ج5 , ص 105

ممتلئة بالأضطرابات الكثيرة , وكانت بدايتها مع السلطان برقوق أول سلاطين الدولة الشركسية , فقد صحب بداية عهده كثرةالحروب الداخلية , ومالبث أن أستقر في منصب أمير كبير أتابك العسكر حتى بدء حربه مع الأمير بركة الجوباني([117])عام801هـ/ 1399م, فقد تتبع الأمير بركة الزعر والحرافيش و بالسيف والقتل وقبض عليهم ففزع العوام وحدث أضطراب كبير في الشوارع, وكان الأمير برقوق يريد دائمًا التودد إلى الزعار والعوام جميعًا ليكتسب شعبية من خلالهم , فنادي فيهم " **من سخركم يا عوام أقبضوا عليه**"([118]), وبالفعل قام العوام بتراشق الأمير بركة بالحجارة وكانوا في كثرة من العدد فخذل وتراجع الأمير بركة عن محاربة الأمير برقوق وقبض عليه وأودع في السجن عام 782هـ/ 1400م, ثم أرسل مرسوم إلى خليل بن عرام بقتله ففعل ذلك , ونفي لمماليك بركة الجوباني قتله , وعندما قابل مماليك بركة خليل بن عرام قتلوه ومزقوه بطريقة وحشية وهاج الزعار والشطار والعيارين كذلك وشاركوا برقوق في حربه ضدبركةالجوباني وأحدأقربائه يسمى أينال اليوسفي([119]) والذي قام الأخير بنهب بيت برقوق وخزائنه, ولم تهداء العامةإلا بعد موت غرس الدين خليل بن عرام وكان في طريقة قتله عبرة وعظةفقد قتل بوحشية بشعة وعندما تولى السلطنةأصبح من أكثرالسلاطين حروبًا داخلية, وذلك بسبب قضائه على المماليك الأشرفية([120]) فقامت حروب كبرى بين الظاهر برقوق وبين الأمير منطاش والأمير يلبغافأستعان السلطان بالزعر الذين ساعدوه في حربه ضدهم,حيث وزع بينهم الأسلحة والمال ونجحوا في تحقيق أهداف السلطان برقوق وما لبث أن تأمر عليه إحد مماليكه وهوعلي باي الذي أرادان يقتل الظاهر برقوق لكن مؤامرته انكشفت فأمر الظاهر ان ينهب بيته فنزع الحرافيش حتى رخام الحوائط والآرضيات ,

وفي عهد فرج بن برقوق قام الأميريلبغا الأحمدي برمي الفتن بين المماليك , فقامت حرب داخلية بينهم جعلت الزعر ينهبون الناس في الشوارع , وخطفت العمائم من رؤسهم , ممماأضطرت الدولة

---

[117]) هو الأمير بركة بن عبد الله الجوباني اليلبغاوي التركى , كان نتولى أتابك العسكر أو أمير كبير العسكر, وقد بداء العداء بينه وبين برقوق من عام 781م / 1379م بسبب قناطر المياه ببركة الرطلى , وحبسه الأمير برقوق في سجن الأسكندرية سنة 782هـ / 1380م , ثم أرسل مرسوم ألى غرس الدين خليل بن عرام بقتله سنة 782هـ / 1400م , ابن تغري بردي : المنهل الصافي , ج2 , ص351

[118]) المقريزي : السلوك , ج5 , ص63

[119]) هو الأمير أينال بن عبد الله اليوسفي , أتابك العسكر في عهد االمنصور على بن لأشرف شعبان , وكان يكره بركة الجوباني وبسبب ذلك قامت الحرب بين برقوق وبركة الجوباني والتي أنتهت بقتله في سجن الأسكندرية , ابن تغري بردي , المنهل الصافي , ج3 , ص189

[120]) نسبة إلة الأشرف شعبان بن محمد بن قلاوون , عفاف صبرة , الفتن والثورات في عهد المماليك الشركسة , ص7

تعين حراسة غفراء لحراسة الحارات من النهابة الزعر([121]) ثم نهبوا ومدرسة يلبغا وربعه الموجودين في منطقة باب الوزير بل ونهبوا كل بيوت المماليك الذين حاربوا معه فهزم أيتمش البجاسي وهرب إلى الشام مع مماليكه([122])

ولم ينتهي الأمر ألى هذا الحد بل نهبوا مسجد السلطان حسن , ثم أقتحموا السجون وأخرجوا أصحاب الجرائم الذين كانوا محبوسين في سجن الديلم وسجن الرحبة , حتى ملئت مصر والقاهرة بالغوغاء الذين أستمروا في النهب والسرقة للعوام, وترويع الأهالي الأمنين من العوام([123])

وفي عهد بلباي عام 872هـ 1467م قام الامير يشبك الفقيه بمحاربة الامراء الاشرفية الا ان قايتباي قائد نوبة النوب ومن معه من امراء هزموهم شر هزيمة , مما حدا بالغوغاء من العامة بنهب بيت يشبك ومن معه من امراء وبهذا دائما نجد ان الغوغاء ينتهزون فرصة انهزام اي من طرفي المماليك المتحاربة حتي نجدهم قاموا بنهب بيوتهم عن اخرها , وهي طريقة تعاملهم مع الحروب التي تشن مع المماليك بعضها ببعض([124])

من الواضح أن هذا الحال لم يستمر علي الدوام , فقد إعتاد العامة علي مثل هذه الأحداث من اضطرابات وحروب ولم يهتموا بالصراع الدائر علي رأس السلطة منذ زمن طويل , فقد أيقنوا ان السلطة لمن غلب وما عليهم إلا الإنقياد للسلطان الجديد , كذلك حال الخليفة العباسي فما عليه إلا تنصيب السلطان الجديد , وهذا ما حدث تماما للسلطان المنصور عثمان ابن جقمق عام 857هـ/1453م فقد استمر قتاله مع الاتابك اينال سبعة ايام دون تدخل من الزعر([125]) ويرجع ذلك الي إعتيادهم علي تلك الحروب , وهذا ما سيكون حال العامة تقريبًا إلي نهاية ذلك العصر وما يؤكد لنا عدم إكتراث العوام من الحروب السياسية التي تحدث من وقت للآخر , عدم تفاعلهم مع الحرب التي دارت رحاها بين قانصوه خمسمائة وبين أقبردي الداويدار والتي أنتهت بقتل قانصوه خمسمائة وقد استمرت هذه الحرب ثلاث سنوات بدأت في حكم قايتباي وانتهت أثناء حكم ابنه الاشرف محمد عاني فيها العوام كثيرا فمن جهة حرب قانصوه و أقبردي , ومن جهة هجوم المماليك

---

[121]) ابن أياس : بدائع الزهور , ج1 , ص281

[122]) ويروي لنا هذه الواقعة بالتفصيل لأن والد المؤرخ كان من المماليك التي حاربت مع الملك الناصر ويشبك , ج12 , ص147 ؛ المنهل الصافي , ج12 , ص122

[123]) ابن اياس : بدائع الزهور , ج2, 389

[124]) ابن اياس : بدائع الزهور , ج2, 389

[125]) الزعر هم من فئات المجتمع الدنيا , ويعيشون على السلب والسرقة واللصوصية أثناء الحروب والأضطرابات التي تحدث بين المماليم من وقت لأخر , ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة , ج2 , ص538

الجلبان عليهم, ومن جهة أخري نهبهم وتعذيبهم من الآشرف محمد لهم ومالهم طائل من ذلك كله سوي ما لحق بهم من أضرار بالغة تمنوا خلالها زوال الحكم المملوكي([126]).

في عهد السلطان الأشرف قايتباي فعلي الرغم من أن حكمه كان يعتبرمن أقوي السلاطين وأخر سلاطين الدولة المملوكية الأقوياء إلا أنه قد أحاط المهمشين النكد والنهب تقريبا فترات كثيرة في فترة حكمه ففي عام 892هـ / 1487م أجتمع عليه حربه مع أولاد عثمان خارجيا ثم ثورة المماليك الجلبان داخليا فانعكس ذلك علي المصريين بسبب قلة الخبز فعمل السلطان علي مصادرات الناس وظلمهم حتي يفي بالتزماته نحو المماليك الاجناد فقد وعدهم بتلقي خمسون دينارا مع تفريق إقطاعات المتوفيين من حرب ابن عثمان , كذلك مع انتشار الفلوس المزورة (الزغل) اغلقت الدكاكين , بل اقتحمت الزعر الدكاكين فأغلقت الاسواق, فأصبح الناس بين الويلات من كل جهة فأخفوا الخبز فضربهم المحتسب لاظهاره([127]) ولكن هذا لم يشفع للمهمشين من سد جوعهم علي ما يبدوا أنهم عانوا في هذه الفترة أكثر من أي وقت مضي .

ويرجع السبب الرئيسي في كثرة الحروب الداخلية وتأثيره المباشر علي الصعيد الداخلي والخارجي لمصر, هو السماح للمماليك الاجلاب بالاندماج بالحياة العامة ومشاركتهم للمهمشين في اساليب حياتهم اليومية مما خلق نوع من الهرج والاضطراب , وطمع الآمراء المماليك في السلطنة ففي عام 902 هـ / 1496 م الي عام907هـ/ 1501م قد شهد تولي أربعة سلاطين ([128]) فأدي بالتالي إلي الأنهيار الأقتصادي والتجاري والأجتماعي والسياسي , ويعزي ذلك سقوط مصر في يد سليم الاول ([129])

---

[126]) موير : تاريخ دولة المماليك , ص 178

[127]) ابن اياس : بدائع الزهور , ج2 , ص538

[128]) هما السلطان الأشرف محمد بن قايتباي والأمير قانصوة خمسمائة الأشرفي , والأمير قانصوة جنبلاط والملك العادل طومانباي , موير : تاريخ دولة المماليك , ص177

[129]) المقريزي : الخطط , ج2 , ص 77 ؛ ابن زنيل الرمال : أخرة المماليك , ص68

قائمة المصادر والمراجع

1. السخاوي : (المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ,ت 902): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع, دار الجيل , بيروت
2. السلوك في معرفة دول الملوك , ط1 , دار الكتب العلمية ,بيروت , 1997.
3. العيني " بدر الدين محمود العيني ت 855هـ" عقد الجمان في تواريخ أهل الزمان ,تحقيق / محمود رزق محمود , دار الكتب والوثائق المصرية , القاهرة ,ط2 , 2010م
4. الفيروز أبادي " مجد الدين محمدبن يعقوب الفيروزابادي ت817هـ": القاموس المحيطمرتب ترتيب الفبائيا وفق أوائل الحروف ,دار الحديث , القاهرة , 2008م.
5. المقريزي :(تقي الدين احمد ابن علي ابن عيد القادر بن محمد , ت 845هـ , / 1441م): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار, والمعروف بالخطط المقريزية , مكتبة مدبولي , القاهرة , 1998.
6. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : تحقيق سعيد عاشور ومحمد محمد أمين , الهيئة العامة للكتاب , 1984م.
7. النويري " شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ت 773هـ ":نهاية الارب في فنون الأدب , تحقيق مفيد قميحة ,ط1 , دار النهضة العربية , بيروت, 2004م .
8. النويري: (محمدابن قاسم بن محمد النويري السكندري المتوفي 775هـ /1372م) : الالمام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في وقعة الاسكندرية ,تحقيق عزيز سوريال , م الهندية
9. ابن إياس : (محمد بن احمد بن إياس الحنفي المصري , ت 930 هـ) , كتاب تاريخ مصر المشهور ببدائع الزهور في وقائع الزهور , ج1 , ط1 0
10. ابن بطوطة : (أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله اللواتي ,ت779 هـ) رحلة بن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمطار ,طبعةمصر.
11. بيبرس المنصوري (ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الداويدار ت 725هـ)::مختار الأخبار تاريخ الدولة الآيوبية والمماليك وحتي عام 702: تحقيق صالح حمدان , ط1 , دار المصرية اللبنانية
12. بيبرس المنصوري :(ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الداويدار ت 725هـ), نائب السلطنة زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة , دار الشرق للتوزيع , بيروت, 1998.

13. ابن تغري بردي : (جمال الدين أبي المحاسن الاتابكي , ت 874هـ) , النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , ط10.
14. ابن حبيب : الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ين حبيب ت 779هـ / 1377م , تذكرة التنبيه في أيام المنصور وبنيه , مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور – محمد محمد أمين , تحقيق التراث , الهيئة العامة للكتاب , 1982م.
15. ابن حجر : (شهاب الدين ابو العباس احمد العسقلاني,ت 852هـ \ 1448)الدررالكامنة في أعيان المائة الثامنة,دار إحياء التراث , بيروت.
16. ابن حجر العسقلاني : (شهاب الدين ابو العباس احمد العسقلاني ,ت 852هـ \ 1448) : إنباء العمر بأبناء الغمر المجلس الأعلى للشؤون الآسلامية, تحقيق حسن حبشي , ط1 ,القاهرة ,1969م.
17. ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمدبن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت681هـ) : وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان , تحقيق /أحسان عباس, دار صادر , بيروت , ط1, 1978م.
18. ابن دقماق " صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي الشهير بابن دقماق ت809هـ": الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين , تحقيق / سعيد عبد الفتاح عاشور,مركز التراث الأسلامي جامعة أم القرى , السعودية , 1980م.
19. طافور (بيرو طافور): رحلة طافور في القرن الخامس الهجري ,ترجمة/ حسن حبشي , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة , 2002 , ص67
20. ابن عباس " شافع بن على بن عباس " : حسن المناقب السرية في السيرة المنتزعة من السيرة الظاهرية , تحقيق عبد الله الخويطر , ط2 , الرياض , 1989.
21. ابن كثير : (الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر , ت 774هـ)البداية والنهاية , المجلد السابع , دار التقوى 0

قائمة المراجع

1. احمد عبد الرازق عبد العزيز محمد : الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الميلادي , جامعة الزقازيق, 2011 .
2. السجون والعقوبات في مصر في عصرسلاطين المماليك , دار عين للدراسات و البحوث الاسلامية ,القاهرة, 2014.
3. أنطون بشارة قيقانو : جدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية ,ط3 , دار الشرق , بيروت , 1986م .
4. حياة ناصر الحجي , السطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهدة ,ط1 , مكتبة الفلاح, الكويت 1983م.
5. خضر محمد الطائي : الدولة المملوكية في عهد الظاهر بيبرس , دراسة حضارية , رسالة لم تنشر , جلمعة ال البيت , 2016.
6. زبيدة محمد عطا : قبطي في عصر أسلامي , ص157
7. سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ,ط1 , الهيئة العامة للكتاب , 1962م.
8. عمرو عبد العزيز منير : ثورات مصر الشعبية ,الهيئة العامة للكتاب ,2015.
9. محاسن محمد الوقاد : الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية , الهيئة العامة للكتاب ,1999.
10. محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي, دار الفكر المعاصر , بيروت ,ط1 , 1990م.
11. محمد رجب النجار : حكايات الشطار والعيارين , الطبعة 2 , ذاكرة في الكتاب , هيئة قصور الثقافة 2002م
12. محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م, الهيئة العامة للكتاب , القاهرة , 1994م.
13. محمد محمد امين : الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر عصر سلاطين المماليك (648-923هـ / 1250-1517م) دراسة وثائقية , دار النهضة العربية , القاهرة ,ط1 , 1980م.
14. ناصر الأنصاري : المجمل في التاريخ النظم السياسية والآدارية , دار الشرق , ط1 , 1993 , ص160
15. نجيب عامر : السجون والتعذيب فى زمن دولة المماليك سنة 656هـ 930هـ/ 1258- 1517م , جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات, عدد السادس , 2005.